

منهج ثالث في مراجعة التراث !

الجزء الأول-

الناس في موضوع التراث بين فريقين، فريق يرفض التراث من علو، وفريق ينصر التراث من سفول، لا توسط بينهما.. ومن الأمانة أن نستعرض حجج الفريقين؛ ثم إذا كان لنا مذهب ثالث أن نبينه ونذكر معاملته .. أما الفريق الأول الذي يرفض التراث من علو، فحجته كالتالي؛ وهم يرون أن التراث ضار لمخالفته القرآن والعقل وحقوق الإنسان .. وأنه أصبح حجة كل مستبد وملحد وذام للإسلام .. فرفض التراث من هذا العلو أفضل؛ وهذا الفريق أبرزه ما يسمى (القرآنيون) وأصحاب الإسلام التجديدي - إن صح التعبير - وكذلك أنصار الليبرالية والعلمانية؛ وفيهم فريق معتدل يقول: نأخذ من التراث ما يتفق مع القرآن والعقل والحقوق والحضارة .. الخ. ولكن؛ هنا ستبقى مشكلة معرفية، وهي العجز عن الحجة الداخلية (من داخل التراث)؛ أي أن الأخذ أو الرفض أصبح وفق أحكام مسبق..

بمعنى؛ قد يدخل في (التشبي) أكثر منه في المعرفة؛ وهنا يتوجب عليهم مزيداً من الجهود البحثية للداخل؛ وقد نواجه نحن اعتراضات من هذا الفريق عندما نستعرض التاريخ وأحداثه والوعي بطبيعة الناس وطواعيتهم للتشكل حسب مراكز القوة، مع أن هذا بحث مفيد. الفريق الثاني الذي ينصر التراث من سفول، وهم أغلب أهل الحديث والفقهاء والدعاة وسائر العامة .. فهؤلاء يلجؤون للطريقة التقليدية في البحث؛ والطريقة التقليدية هي البحث في الحديث و أقوال السلف مع هجر القرآن والعقل والحقوق.. فهم يرون أن هذا التراث هو شرح للدين، ومحاربه محارب للدين؛ ولهم حجته أيضاً، ومن حقهم بيانها؛ وهي: أننا لا نأخذ إلا ما صححه أهل الحديث من الحديث، الذي ينتج عقائد وأحكاماً فقهية؛ فيرون أنهم متبعون. إذاً؛ هناك فريقان واضحان في موضوع التراث؛ فريق يرفضه بالقرآن والعقل والحقوق؛ وفريق ينصره بالتوغل في تفاصيله، من عقيدة وجرح وتعديل و أقوال سلف؛ والسؤال: هل من طريق ثالث؟ طريق علمي لا إصلاحي؟ طريق يعرف به الفريقان؛ يعرف أساس الخلل الذي أنتج هذا التضاد إذ كل فريق يتدين بزم الآخر ونهجه؟ هناك طريق صعب وشاق، وأرى الفريقين مقصرين فيه، وهو البحث عن العوامل المؤثرة في هذا التراث؛ هل هي موجودة أم لا؟ ثم ما نسبة أثرها فيه؟

بلغة أخرى؛ هل هناك عوامل مؤثرة في هذا الإنسان العربي؟ ما أبرز العوامل التي تؤثر في العرب اليوم، وهل هي نفسها المؤثرة في العرب قديماً؟

بلغة ثالثة؛ هل تأثرت الأجيال (التراثية) بعوامل ضاغطة أثرت فيهم

من سلطات؛ ورأي عام؛ وطبيعة مجتمع؛ ومستوى عقلي؛ ومنافع.. الخ؛ أم لم تتأثر؟ دراسة هذه العوامل وبصدق وشجاعة؛ أرى أنها ستقرب بين الفريقين كثيراً.

هل يمكن أن تكون المعرفة والبحث بدلاً من هذا الصراع الأبدي بينهما؟ الفقر كبير عند المسلمين في دراسة (الطبيعة البشرية، والنفوس والمؤثرات فيها، والعوامل المشكلة للرأي العام ومدى استجابة الناس لهذه العوامل)؛ لابد من الإيمان بأن هناك عوامل ضاغطة (رأي عام - سلطات - مذاهب.. الخ) توجه المعرفة نحو أهداف أخرى، ليس منها مصلحة الدين والإنسان كإنسان.

مشكلة الفريق الرافض للتراث، أنه ملول ويجب العجلة واختصار الطريق؛ ومشكلة الفريق الثاني أنه صبور في أسافل العلم الظينة قبل إحكام أعاليه؛ مشكلة الفريق الأول أنه قد يرفض ما يرى صحته قفزاً وعجلة -قلت قد- ومشكلة الفريق الثاني أنه يؤمن بما يخالف القرآن والفطرة والعقل غالباً..

ربما نعذر الفريق الأول أنه تمسك بالأصول (قرآن/ عقل/ حقوق/ فطرة /..الخ)؛ لكن لا عذر له في التهوين من دراسة (بيئة التراث) والعوامل المؤثرة؛ وربما نعذر الفريق الثاني في تمسكه بالطريقة التي يرى أنه سار عليها السلف من صحابة وتابعين ومحدثين وفقهاء .. فهم عندهم أعلم وو أفهم و أقرب؛ ولكن؛ عند التدقيق؛ تستطيع أن تلزم الفريق الثاني بأثر هذه العوامل في (تشكل بيئة ثقافية ما، قد ترفض الحق أو تخفيه وقد تسكت عن الباطل أو تنصره)؛ وقد تستطيع إقناع الفريق الأول، بأنه ليس من البحث ولا دلائل التعقل والمعرفة أن يتم رفض كل هذا التراث، هكذا دفعاً بالصدر؟ هذا غير معقول؛ لذلك؛ سأحاول في الحلقات القادمة أن أثبت بعض هذه المؤثرات وطواعية الناس لها وسرعة استجابتهم للكثرة والقوة، وما ينتج عن ذلك من تشكيل معرفي.

صحيح أن هذه العوامل قد يفرح بها الفريق الأول دون الثاني في أول الأمر؛ لكن؛ سنصل لأمر لا يحبها لا الأول ولا الثاني، للآثار المعاصرة المؤثرة؛ فلا يظن الفريقان أنهما لا يخضعان لجنس تلك العوامل إلى اليوم. نحن إلى اليوم نخضع للقوة والكثرة والرأي العام، وتؤثر فينا تلك المؤثرات لاشك؛ لذلك؛ نحتاج إلى استعداد نفسي كبير للفهم وتقبل الحقيقة؛ وألا نظن بأن الحق وحده يكفي للقناعة؛ كلا؛ فهذه آيات الأنبياء حسية ومعنوية؛ وقد كُفّر بها..

بمعنى؛ استعداد لطرده الأفكار المسبقة من عقلك إذا خالفت ما تبين لك من حق؛ ولطرده الهوى والتعصب من قلبك؛ وللشجاعة في التفلت من معتقلات الرأي العام.

في الحلقة القادمة سنحاول الإضاءة على طبيعة هذه النفس الإنسانية التي لا نفهمها؛ النفس الإنسانية يجب فهمها حتى لا نقع فيما وقع فيه الآخرون. ثم في الحلقة التي بعدها سنذكر نماذج تاريخية من آثار الرأي العام والسلطة والقوة على العلم (إخفاء وإظهاراً وبتراً ووضعاً وتصرفاً وترتيباً)؛ وربما في الحلقة الأخيرة سنذكر (مخالفات التراث في عرض واقعه أهله وو آفقه سلفهم)؛ وسترون المكابرة عند إنساء هذه الحقائق استجابة لتلك العوامل.

- الجزء الثاني -

-من كتب التراث؟

-ناس، بشر، أشخاص.

-ما طبيعته؟

-هذه النفس البشرية؛ هل تعرفها؟ كما لايتها، نو اقصها؟

هذه النفس البشرية متنوعة، بعضها طيب وبعضها خبيث؛ والطيب مراتب، والخبيث مراتب؛ وقد يطلق على الاثنين مسمى (الإيمان)؛ فما المعيار؟ وكيف نعرف؟

بمعنى؛ هل يمكن أن يكتب التراث أنفس خبيثة؟ أو مقلدة لخبيثة؟ أو واقعة تحت ضغط أنفس خبيثة؟ وما الخبيث؟ ولماذا عبر القرآن هكذا؟ وما حقيقته؟

إذا كنت أنت طيباً، صادقاً، فهل تتصور وجود الكاذب الخبيث؟ فهل تظن أن الناس مثلك؟ هل تؤمن ببعض أوصاف هذا الإنسان في القرآن؟ والأمم؛ والسلف؟

لم أكن قديماً أتصور هذا (الإنسان) الموجود في هذه الآية؛ تدبروا جيداً؛

{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[البقرة:

٧٥]

معقول؟ لهذا الحد؟ هذا نوع من أنواع النفس الإنسانية (من النوع الخبيث جداً)؛ يسمعون كلام الله؛ ثم يحرفونه؛ من بعد ماذا؟ (من بعد ما عقلوه)؛ وهم يعلمون.. افهم إذاً.

أنت مقصر في فهم (الأنفس الخبيثة)؛ تهمل فهمها؛ ومتشبع من أمرين؛ إما من (مدح الأنفس الطيبة)؛ أو التي قيل لك (أنها طيبة)؛ وقد تكون من الخبيث.

استبانة (سبيل المجرمين) أنت مقصر فيه؛ لذلك؛ لا ترى أن هناك (سبيل مجرمين) أي مذهب وطريق للمجرمين؛ طريق ثقافي أولاً؛ ثم سلوكي؛ القرآن يكرر هذا.

أقول للطيبين؛ بلاؤكم أتى من الطمأنينة بأن الناس مثلكم؛ لا تكذبون ولا تردون الحق وتظنون أن الناس مثلكم؛ كلا؛ هناك أنفس خبيثة أوضحتها لك الله؛ هناك أنفس خبيثة (هل هي كثرة أو قلة سيأتي)، مستعدون للكذب والتحريف والإخفاء وتشكيل ثقافتك ونفسيك لتكون من أولياء الشيطان بإخلاص متدين؛ ليس المشكلة أنك خبيث؛ إنما المشكلة إذا وقعت ضحية لثقافة خبيثة من أنفس خبيثة تنتج الدمار لعقلك وقلبك وعملك؛ ثقافة شيطانية مأكرة مزخرفة خليطة؛ مشكلتك أيها الطيب أنك لم تأخذ تحذير الله على محمل الجد؛ لم تتخذ المنافقين أعداء ولا الفريق الضال من أهل الكتاب؛ ولا الشيطان قبل ذلك وبعده؛ مشكلتك أيها الطيب هو الطيبة الزائدة التي أدخلتك في (شبكة الشيطان المزخرفة المزيّنة)؛ ثم لم تستطع أن تخرج منها إلا بمشروعه؛ لم تنتبه؛ لم تحذر؛ أنت أيها الطيب صدقت الكذب على الله وعلى رسوله؛ وصدقت المجرمين (ثقافياً)؛ فالإجرام في القرآن -أغلبه يتعلق بالثقافة- ثم أصبحت مجرماً جميلاً؛ الإجرام الجميل؛ المزين بالآيات والأحاديث والمواعظ؛ هو ما يريده الشيطان تماماً؛ لا يريدك بلا هذا؛ الشيطان يريدك مجرماً جميلاً فاعلاً مؤثراً؛ أول ما يجب عليك أيها الطيب ألا تنخدع للشياطين والمجرمين وأهل المكر والخديعة؛ قد أضلوا أمماً قبلك وطيبين قبلك؛ حاول ألا تقع فريسة؛ جدد نفسك؛ القرآن حذر من أتباع المجرمين وشياطين الإنس والجن؛ الرسول صلوات الله عليه وآله حذر من (الأئمة المضلين)؛ ويوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم؛ بمعنى؛ لا تغتر بمن قد مضوا؛ لا تغتر بكثرة من كان على رأيك؛ قد يكونون من الذين وقعوا تحت تأثير (أئمة مضلين)؛ لهم قوة وقدرة على الإضلال والتلبيس؛ ما الذي يدريني ويدريك أننا مهتدون؟ لماذا لا نكون ضالين ونظن أننا مهتدون؟ ليس الحسبان علماً؛ شك وراجع واختبر معلوماتك واستعن بالله واسأله؛ سبقك (في الماضي) من كل الأوصاف التي وصفها الله؛ سبقك طيب، وسبقك كثير خبيث أيضاً؛ لا يستوون (ولو أعجبك كثرة الخبيث)؛ انتبه؛ لا تعجبك الكثرة.

لا تقل السلف والقرون الأولى وفلان وفلان؛ ابحث عما قاله الله من المحكمات وأجل المشتبهات؛ انظر السنة الجامعة التي عليها نور القرآن؛ انصب؛ اتعب؛ هذه النفس الإنسانية -التي بين جنبيك- خطيرة؛ افهمها؛ لا تهمل فحصها؛ يجب أن تأطرها على المراجعة بعقل وخشوع؛ لا بعصبية وخصومة وبغضاء وحماسة؛ لا تقل بأن فلاناً وفلاناً كانوا أئمة في قول الحق والصدق به؛ لا تقل أن العوامل الضاغطة لن تؤثر عليهم؛ هم يعترفون أحياناً بخلاف ما تظنه فيهم.. عندما يُفنى أهل البيت وأهل بدر؛ هل سيأتي من يقوم بعلمهم وعلومهم؟ عندما يُفنى أهل الرضوان؛ ألا يتخذ الناس بعدهم رؤساء جهالاً -على تفصيل-؟

أقصد؛ على تفصيل في معنى وحقيقة أهل بدر والرضوان؛ فبعضهم قد تضللك الثقافة بأنه منهم وليس منهم؛ أو أنه قام بشروطهم ولم يفعل؛ كلامنا على الجملة؛ يكفيك على وجه الجملة أن القلة الصالحة أفتاها القرن الأول؛ فهم بين قتيل تسفي عليه الريح؛ وملعون فوق منابر المساجد؛ ومشرد مطارد ساخ فقهه علمه؛ هذا أول الأثر الظاهر الذي يجب أن تهتم به لتعرف أنه لن يقتلهم ويلعنهم من يحيي سنتهم؛ أو يرفع من صالح منهجهم؛ لن يفهمهم إلا أضدادهم..

هؤلاء الأضداد سنشرون ثقافة مضادة مزخرفة؛ تحيي التفاصيل وتميت أصول الديانة؛ وتخفي وتُظهر؛ وتزيد وتبتتر؛ وتفتري مع مزج ببعض الصدق خديعة ومكراً.

- الجزء الثالث-

مشكلتك ليست دائماً في (الذين لا يعلمون)؛ وإنما أيضاً في (الذين يعلمون)؛ وخاصة المتقدمين؛ فمنبع النهر أخطر.. انظر مثلاً للآية السابقة:

1- {.. ثُمَّ يَحْرِقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

2- { وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }

الآيتان السابقتان في سورة البقرة (146/ 75)

3- أيضاً انظر {... وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: ٧٥]

4- { وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران ٧٨]

وقد يقول البعض هذه في (أمم سابقة)؛ يقال: هذه النفس الإنسانية، وفي الأمة أمثال هؤلاء كثير، بدليل القرآن والسنة والواقع؛ وسنذكر الأدلة؛ فمثلاً: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {المجادلة: ١٤}

هؤلاء من داخل الصف (صف الأمة المسلمة أيام النبوة نفسها)؛ فلا تزكوا أنفسكم. وتزكية النفس هي من أثار تلك العوامل (السياسية والاجتماعية والنفسية والرأي العام... الخ)؛ تزكية النفس هي من تلك الآثار؛ فتخلص منها؛ فهي عائق؛ تزكية النفس يدخل فيها تزكية من تحب؛ فلم يقل لا تزك نفسك، إنما قال (فلا تزكوا أنفسكم)؛ واضح أنها تزكية عامة لنا ولمن يشبهنا؛ وكله ضار؛ القرآن يفصل؛ ويذكر فئات المجرمين أكثر من ذكره فئات المسلمين الخالص؛ وأنت تعمم أنهم كلهم كذا ! هذا من أثار تلك العوامل؛ راجع وفصل تفصيل القرآن؛ منهج تزكية النفس هو مذموم في القرآن ممدوح في التراث..

اسمع: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠)} {النساء}

تزكية النفس عائق من عوائق معرفة الحقيقة؛ عائق أمام أي نقد صادق يعيد هذه النفس إلى رؤية الواقع كما كان؛ أو أقرب إلى الحقيقة؛ الأوهام ضارة..

اسمع، هل هذه الآيات في أumm سابقة؟ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)} {النساء}

هؤلاء مسلمون أم من الأumm السابقة؟ وكثير جداً هذا التفصيل القرآني لغرض مذكور (ولتستبين سبيل المجرمين)؛ هؤلاء هم من أهم العوامل المؤثرة التي تحدثنا عنها؛ والتي هي أهم ركائز (المنهج الثالث) الذي يهدف لمعرفة هذا الواقع القديم، ليجتنب خبيثته؛ المنهج الثالث يقوم على الدراسة أولاً؛ قرآنية؛ ثم حديثية - وستجد الكثير الطيب المتفق مع القرآن- ثم أحداث تاريخية صلبة - وستجد تلك العوامل- ثم دراسة الرواة والفقهاء وأهل العقائد والنحل؛ ومن منهم وقع ضحية واشتهر؛ ومن منهم تجنبها فجعلها الناس أو ذمموه تحت تأثير تلك العوامل؛ وهذا سيؤدي لفرز التراث وانتقاء التراث الذي يشبه القرآن؛ سواء كان عقائد (إيمانيات) أو أحكاماً فقهية أو سلوك عملي.

لا سبيل لإقناع دون بحث؛ أعني؛ لا تستطيع أن تقول: فلان كذاب وأحاديثه باطلة هكذا دون بحث وإقناع؛ فربما كان هو بريئاً ويكون تلميذه أو من بعده من قوله أو زاد أو نقص؛ وهذا التقويل أو الزيادة أو النقصان أو البتر أو الوهم أو الإشهار في الرواية هو ما يشكل مع الزمن ثقافة بديلة بل ضرة للثقافة الصحيحة؛ ليس هدف البحث في -المنهج الثالث- تكذيب

التراث ولا تصديقه؛ الهدف لدراسته لنعرف أين الصدق؟ وكيف تم إهماله أو تحريفه أو وضع ما يضاده الخ؛ الضرر سيأتيك من كل مكان؛ من القادة الذين يعلمون (المغضوب عليهم) كعامل مؤثرو قوي؛ ومن (الضالين) الذين لا يعلمون، فكثروا جمعهم وضلوا بهم؛ فلا تقل أن (أهل العلم) يرون كذا ورووا كذا؛ فما الذي أدراك أن (كل أهل العلم) كما تظن أنت من الصدق والنزاهة؟

سبقت صفات بعض (الذين يعلمون).

لا تقل: "أنا لا أتصور كذب أهل العلم"؛ حتى أنا معك؛ لم أكن أتصور حتى رأيت زمننا هذا وما فيه من كذبهم عيني عينك! رأيت ما كنت أقرأه في القرآن. ليس كل أهل العلم؛ هذا صحيح؛ لكن؛ لا تتصور أن (العالم)؛ مادام أنه عالم؛ سيعصمه علمه من الكذب المتعمد؛ كلا؛ قد يكذب وهو يعلم أنه يكذب على الله. أنت لا تتصور ذلك لأنك طيب؛ نحن بسطاء، لا نستطيع ارتكاب الوضوح الفج والتعمد عن سبق إصرار؛ لكن ثق بأن ما وصفه الله من وجود هذه النوعيات حق؛ بعد ذلك، قد تأتي الأسئلة، هل هم كثير أم قليل؟ مؤثرين كثيراً أم قليلاً؟ ومن هم؟ وكيف نعرف؟.. هذا كله محل بحث لاحقاً؛ أنت كن مع المقدمات أولاً؛ لتكن المقدمات أمام عينيك - أثناء البحث - قد تحتاجها في أية لحظة؛ وثقافة القرآن عن هذا الإنسان حق مطلق؛ ونراها اليوم كالشمس ليس دونها سحاب.

-الجزء الرابع -

قلنا بأن ضرر (الذين يعلمون) متحقق وقديم، وذكرنا آيات في ذلك؛ وبقي ضرر (الذين لا يعلمون)؛ فالذين يعلمون غالباً يكونون القادة؛ والذين لا يعلمون غالباً يكونون أتباعهم؛ ولذلك؛ أمرنا الله بالتعوذ من صراط (المغضوب عليهم) و (الضالين).

ومن أصناف (الذين لا يعلمون) في القرآن الكريم:

1- السفهاء {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٣٢]

2- الأميون المتعلمون - سأشرحها - وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [البقرة]

وإنما قلت "الأميون المتعلمون" لأن الله ذكر بعدها (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)؛ فهم أميون لا يعلمون الكتاب فقط.

3- المضللون للآخرين، الذين لا يرون لهم أي حق ولا يرون لهم أي نجاة (القائلون بهلاك من سواهم)؛ وهؤلاء من أخطر الذين لا يعلمون.

اسمع الآية: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنَبِيِّنَا لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنَبِيِّنَا لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ [البقرة: ١١٣]؛ وهؤلاء الذين لا يعلمون يظنهم الناس من أقوى الناس ديناً وعلماً.

4- المتكبرون المشترطون للمعجزات {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} [البقرة: 118]

5- المحتجون بمن سلف من رموزهم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [المائدة: ١٠٤]

هم لا يفتشون عنهم.

6- المعرضون عن الكتاب {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} (6) [التوبة] ومن لا يسمع كلام الله يشبه المشرك الذي لا يسمع كلام الله.

7- المطبوع على قلوبهم {وَوُطِّعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (٩٣) [التوبة]

8- التعبد بأسماء لم ينزل الله بها من سلطان، سواء اسم صنم أو اسم شخص أو اسم حزب أو مذهب؛ {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف : ٤٠]

9-المعرضون عن الحق جهلاً به: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ [٢٤] ((الأنبياء]

10-الناسي لفضل الله: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر: ٤٩]

11-أهل الأهواء{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨]

ويجب معرفة الهوى من القرآن؛ لا من العوامل المؤثرة.

12-المنافقون (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ [المنافقون]؛ والمنافقون في القرآن لها معانٍ أوسع وأخطر من معنى

العوامل المؤثرة.

13-الذين ينسبون كل فاحشة إلى الله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ

بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: ٢٨]؛ وما أكثر هؤلاء..

لاحظ في الآيات أنهم أول ما يحتجون به هو (ما وجدوا عليه آباءهم)؛ فإذا أبطلت مشروعية اتباعهم تذكروا فقالوا (لكن الله يقول كذا ..) بلا علم؛ والفاحشة في الآيات السابقة تعني الظلم والجور، بدليل الآية التي بعدها {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف: ٢٩]؛ وما أكثرهم اليوم.

14-الذين يقولون (نحن في ذمة من سبقونا)؛ ولهم قدرة على التمييز، ويظنون أنهم ناجون: قَالَتْ أَخْرَاهُمِ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا

هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف]؛ وغيرها كثير من الأصناف.

(الذين لا يعلمون) يشكلون قوة ضغط كبرى، ولهم أثرهم على السابقين واللاحقين؛ حتى أن العالم الفقيه قد يخفي عنهم العلم خشية من بطشهم لجهلهم؛ فالصالحون في الماضي وجدوا قتلاً واغتيالات وتشريداً ولعنات على المنابر؛ وكل هذا سيؤدي إلى ضياع علمهم و اتخاذ الناس رؤساء جهالاً؛ عامل مؤثر: فالعالم المؤمن البصير واقع بين مطرقة (الذين لا يعلمون)؛ ولكنهم يحرفون من بعد ما عقلوه؛ وبين زندان العامة (الذين لا يعلمون) من الأصناف السابقة؛ وعلى هذا فلا تضمن أن ما نقل إليك -من أحاديث نبوية وأحكام فقهية وعقائد إيمانية- سيكون سليماً؛ فهو كالغزال الذي خرج من غابة الذئاب مضرجاً.